المحاضرة (7): رواد علم النفس الاجتماعي

يعتبر علم النفس الاجتماعي واحدا من ضمن التخصصات الهامة في علم النفس العام وله الكثير من الرواد الذين قدموا نظريات لهذا العلم لا تزال إلى يومنا هذا محل اعتماد من قبل الباحثين. وتبرز ثلة من العلماء لكن سنتطرق من خلال هذه المحاضرة إلى ثلاث رواد فقط كان لكل منهم عديد الإسهامات التي سارت بهذا التخصص قدما ضمن دائرة العلوم الاجتماعية بشكل عام.

1- جورج هربرت ميد George Herbert Mead

حياته وأعماله:

ولد "جورج هربرت ميد" في عام 1863م، وتوفي في 1931 .

ولد في سوث هادلي South Hadley بـ Massachusetts، تكون في عدة جامعات أمريكية وأوربية وتكمن أهميته في تاريخ علم الاجتماع باعتباره مؤسس علم النفس الاجتماعي، وقد درسه في جامعة شيكاغو بداية من سنة 1894 حتى وفاته، له تأثير كبير جدا على السوسيولوجيا الأمريكية بأعماله عن التفاعل الاجتماعي التي شكلت القاعدة الأساسية للتفاعلية الرمزية ومتأثرا بالنظرية التطورية ومقتنعا بالطبيعة الاجتماعية للتجربة والسلوك. (خواجة، ب ت، صفحة 159)

"كان والد "ميد" رجل دين بيوريتاني درس المواعظ الدينية في جامعة أوبرلين، التي حصل منها "ميد" على درجة البكالوريوس في عام 1883. وكانت والدته رئيسة كلية ماونت هوليوك بعد موت زوجها، وبعد سنة إضافية من دراسة الفلسفة واللغة اليونانية حصل ميد على درجة بكالوريوس ثانية من جامعة هارفارد في عام 1888 . وبينما كان في جامعة هارفارد درس ميد على يد جوسيا روسي Josiah Royce وتحول إلى الفلسفة البرجماتية، وفي أوربا تلقى تعليمه العالي على يد وليام فونت Wilhem Wundt في جامعة ليبزغ Lripzig حيث التقى فيها كذلك مع جي ستانلي هال G. Staniey Hall ، ثم درس بعد ذلك في برلين لكنه لم ينه متطلبات حصوله على الدكتوراه.وعند عودته إلى أمريكا درّس لمدة سنتين في جامعة ميتشيجان في آن آربور، حيث التقى مع جون ديوي John Dewey وشارلز هورتن كولي وأصبح صديقا لهما. وعندما انتقل ديوي إلى جامعة شيكاغو قرر ميد أن يلحق به، ودرّس هناك في قسم الفلسفة حتى وفاته في عام 1931." (وولف، 2011م-2012م، صفحة 331)

قام بصياغة وتطوير أفكاره حول النظرية التفاعلية الرمزية في التحليل الاجتماعي للظواهر الاجتماعية من خلال تأليف مجموعة من المؤلفات منها: (مصباح، 2010، صفحة 250)

- أسس التفاعلية الرمزية
- الذات والمجتمع
- حول العقل كمنتج للتفاعل الاجتماعي

"نشر ميد أكثر من ثمانين مقالة في حياته، وتركز أكثر من نصف كتاباته حول القضايا الإصلاحية مثل: المهاجرين، وبيوت التأهيل، واقتراع النساء، والعمل، والتعليم، والديموقراطية. وفي العديد من تلك القضايا تأثر كثيرا بصديقه وزميله جان آدمز Jane Addams" . (وولف، 2011م-2012م، صفحة 331)

كان نجاح "ميد" متأخرا لأن نشر كتبه لم يبدأ إلا بعد عامين من موته، فهو لم ينشر إلا مقالات متفرقة وما أصبح بعد ذلك كتابا كان نتيجة لتجميع بعض المقالات أو لما تركه من مخطوطات أو لملمة لملاحظات تلاميذه. (خواجة، ب ت، صفحة 163)

2- **كورت ليفين Kurt Lewin** : (1890 - 1947 م)

تأثر "ليفين" بالفلاسفة والعلماء النشطين في ألمانيا، وخاصة المدرسة الديناميكية ويعد من الذين تأثروا بمبادئ الجشطالت فأصبح تفكيره بمبادئهم في كيفية فهم هذا الكون فهما علميا. (وحيد، 1421هـ-2001م، صفحة 115)

ولد كورت ليفين في بروسيا بأسرة يهودية من الطبقة المتوسطة، التحق بجامعة Frieberg في عام 1909لدراسة الطب قبل الانتقال إلى جامعة ميونيخ لدراسة علم الأحياء. وفي النهاية أكمل شهادة الدكتوراه في جامعة برلين، بدأ في الأصل دراسته باهتمام بالسلوكيات، لكنه في وقت لاحق طور اهتمامًا بعلم نفس الجشطالت . تطوع للجيش الألماني في عام 1914وأصيب في وقت لاحق في القتال، كان لهذه التجارب المبكرة تأثير كبير على تطوير نظريته الميدانية ودراسة ديناميكيات المجموعة فيما بعد .

في عام 1921 ، بدأ كورت ليفين محاضرة في الفلسفة وعلم النفس في المعهد النفسي لجامعة برلين. جذبت شعبيته مع الطلاب وكتابه الغزير اهتمام جامعة ستانفورد، ودُعي ليكون أستاذًا زائرًا في عام

1930. وفي نهاية المطاف، هاجر ليفين إلى الولايات المتحدة وتولى منصبًا تدريسيًا في جامعة أيوا ، حيث كان يعمل حتى عام 1944https://ar.reoveme.com .

يعتبر أول من بحث في دينامية الجماعة "ليفين" الذي أنشأ أول مركز بحوث في مجال ديناميات الجماعة في معهد التكنولوجيا بماساشوستش، والذي نقل بعد ذلك إلى جامعة ميتشيجان حيث أنشأ معهد الدراسات الاجتماعية وذلك أثناء الحرب العالمية الثانية. ويرى "ليفين" أن "ليس ثمة إنسان يمثل حياة منعزلة" فالإنسان ثمرة تفاعل الأفراد داخل الجماعات ويتمثل ذلك في علاقة الفرد الجماعة أو علاقة الجماعات بعضها ببعض فتناول القرارات والمناقشات داخل الجماعة وأثرها في تغيير العادات . (معوض، علم النفس الاجتماعي، 2003، صفحة 116)

تعتبر نظرية المجال مفسرة للسلوك الاجتماعي وأنه لا يمكن فهمه إلا في مجاله الكلي فالمجال هو الذي يحدد نوع السلوك ومضمونه واتجاهه، وكل فرد إنما يوجد في بيئة اجتماعية معينة بينه وبينها تفاعل مستمر يؤثر فيها ويتأثر بها، ولا يستجيب لها من حيث ما يفرغه عليها من دلالات ومعاني فاستجابة الطالب للجرس في الصباح لا تكون من حيث هو جرس بل من حيث هو رمز لبداية الحصة، واستجابته للجرس في موقف آخر في الطريق مثلا تكون بشكل آخر. وبشكل عام فاستجابتنا تتأثر بأحوالنا المزاجية والجسمية ورغباتنا ، أيضا التجارب والخبرات السابقة والأحداث كلها لها أثر في نوع السلوك واتجاهه. (سلامة، 2007، صفحة 27)

وبالرغم من أن البيئة واحدة إلا أن إدراك الأفراد لها قد يختلف فالبيئة بيئتان:

- البيئة كما هي في الواقع ويعبر عنها بالبيئة الواقعية أو الجغرافية.
- البيئة كما يدركها الإنسان ويعبر عنها بالسلوكية أو المجال النفسي أو المجال فقط.

بالتالي مدلول المجال تلتقي فيه البيئة الواقعية مع الدلالة الخاصة في أعيننا المتأثرة **بالأحوال الجسمية والنفسية الراهنة، والتجارب والخبرات والأحداث التي مرت بنا.** ما يشكل ثلاث عناصر أساسية للمجال وهي تؤلف وحدة متكاملة يؤثر بعضها في بعض ويكمل بعضها بعضا، ولا يمكن فهم السلوك إلا من خلال هذا المجال الكلي. أي من خلال هذه العناصر الثلاثة وإذا حدث تغير في إحدى هذه العناصر تجاوبت له عناصر الوحدة كلها عندئذ يقال إن توازن المجال قد اختل. (سلامة، 2007، صفحة 28)

3- مارغريت ميد

ولدت "مارغريت ميد" في السابع عشر من ديسمبر عام 1901م في فيلاديلفيا ، والدتها "إميلي قوج ميد" ووالدها "إدوارد شروود ميد" وجدتها "مارتا آدالين رامسى ميد" وقد كتبت عنهم كثيرا، كانت مارغريت ميد أول أطفال خمسة وكانت تعتقد أنها محبوبة إلى حد كبير، كان والدها من رجال الاقتصاد وأستاذا للمالية في مدرسة وارتون بجامعة بنسلفانيا بينما والدتها خريجة كلية ولزلي وتعمل بالتدريس (إل.سيلز، 2010، صفحة 277)

في عام 1969 عينت ميد أمينا شرفيا للإثنولوجيا بالمتحف، وفي عام 1971 تم تتويج كل عملها خلال خمس وأربعين سنة بافتتاح قاعة شعوب الباسيفيكي (المحيط الهادي(وهي عبارة عن معرض كانت ميد تخطط له وتجمع له المعروضات الملائمة وفي عام 1976 أنشئ صندوق مارغريت ميد لتقدم الأنثربولوجيا (إل.سيلز، 2010، صفحة 281)

توفيت ميد متأثرة بسرطان البنكرياس الذي استمر معها لعام كامل ودفنت في احتفال ديني خاص في المقبرة التي كانت وصفتها في سيرتها الذاتية بأنها كنيسة أسقفة صغيرة في بكنجهام بولاية بنسيلفانيا (إل.سيلز، 2010، صفحة 283)

أنهت "ميد" رسالتها للماجستير في علم النفس بجامعة كولومبيا عام 1924 وقد تأثرت رؤيتها للأنثربولوجيا بأستاذيها الرئيسيين بواس وبندكيت (إل.سيلز، 2010، صفحة 225)

لها أربعة وأربعين كتابا مطبوعا منها ثمانية عشر كتابا بالاشتراك مع آخرين وأكثر من مائة مقال ودراسة ومخطوطة وعدد لا يحصى من المحاضرات والمؤتمرات، وكذلك تصنيفات دقيقة ومنهجية لمذكراتها الميدانية وملاحظاتها ومقابلاتها الحرفية والرسوم والخرائط والتخطيطات والصور الفوتوغرافية والأفلام والتسجيلات على شرائط والصناعات اليدوية. التي اعتبرت أرشيفات أتاحتها للباحثين المهتمين حتى يتسنى لمن بعدها أن يبدءوا من حيث توقفت. (إل.سيلز، 2010، صفحة 256)

دراسات "ميد" على مجتمع الماناس "Manas" في غينيا الجديدة ومجتمع الساموا "Samoa" توضح آثار التنشئة الاجتماعية التي تبدو في غرس كثير من القيم والاتجاهات والعادات في نفوس الأفراد منذ مراحل الطفولة والمراهقة. ويمكن إيجاز هذه الدراسات فيما يلي: (معوض، علم النفس الاجتماعي، 2003، صفحة 141)

- نجاح الشعوب البدائية في غرس واحترام الملكية في نفوس الأفراد فيقدس الأفراد الملكية منذ طفولتهم المبكرة

- الطفل في هذه المجتمعات يتمتع بقوة جسمية كبيرة، وبمزاج معتدل وسرعة ملاحظة وحدة شعور قليلا ما نجد شعورا بالتخاذل أو الضعف ويحظى الطفل منذ صغره بالحرية ويتعود الاعتماد على النفس.